منسوجات المغرب الأوسط (الجزائر) من خلال نصوص المخطوطات والمصادر التاريخية

د/ ليث شاكر محمود
قسم التاريخ - كلية الآداب/ جامعة بغداد

المقدمة وإشكالية البحث وقراءة للمصادر

يدور البحث الموسوم" منسوجات المغرب الاوسط (الجزائر) من خلال نصوص المخطوطات والمصادر التاريخية. وهو موضوع مهم جدا فى التاريخ المعرفي للجزائر فى العصور الإسلامية الوسطى كونه يلقى الضوء على المهارات والحرف الشائعة وقتذاك بين ابناء المغرب الاوسط وفقا للمخطوطات والمصادر التاريخية العربية الاسلامية.

فالبحث يقع فى محورين رئيسيين الأول يتناول "المصادر الإسلامية واشكالية صناعة النسيج الجزائري فى العصور الوسطى الإسلامية " قدمت المخطوطات والمصادر العربية الإسلامية المكتوبة معلومات في غاية الأهمية عن صناعة النسيج، بدءا من مفاهيمه الفتية وطرق عمله واشتغاله ومسيماته في المشرق والمغرب الإسلامي على حد سواء ، وتتنوع هذه المصادر على اختلاف طبيعة رجالاتها أي مؤلفيها ، سواء أكانت المعاجم اللغوية العربية

الإسلامية أو المصادر التاريخية وأخيرا مؤلفات الفقهاء فى الحسبة. وسوف نتطرق إلى نموذجين أولها طروحات العلامة ابن خلدون (808ه) في النسيج ألمغاربي في مقدمته وعلاقاتها بالنسيج التلمساني، والنموذج الثاني هي متمثلة بكتب الحسبة واهمتها وأسمائها ومحتوياتها وما قدمت من معلومات قيمة عن فئة الحاكة والنساج فى الاقاليم الإسلامية شكلت طروحاته حول النسيج مادة تاريخية خصبة، وان كانت شحيحة في تفاصيلها وبالرغم من ذلك فقد خصص فصلا منفردا بعنوان "صناعة الحاكة والنسيج "في مقدمته الشهيرة "العبر" ، لذلك يتكلم عن نسيج المغرب الإسلامي ب "نسيج البربر أي الأمازيع من اهم سكان المغرب الاوسط الجزائر وأشار التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة الى أن العديد من المسلمين كانو يزاولون صناعة الخياطة والنسيج في المساجد" ،لذلك اخذ المحتسبون المسلمون بمراقبة النساج في الأسواق وفقا لأبن عبدون "واشتهرت نساء المغرب الاوسط-الجزائر بريادتهن في النسيج سواء كن نساء الفقراء أو الأغنياء على حد سواء ، لذلك روى ابن بسام في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة إن النساء كان لهن سوقا يعرف بسوق الغزل فكن يبعين ويشترين.

،قدمت كتب الحسبة معلومات وافية عن احوال صناعة النسيج المغرب الاوسط-الجزائر وكونه جزءا لا يتجزء من المغرب الإسلامي الكبير في وحدته الإجتماعية والثقافية والمعرفية، لذلك

عني المؤرخون المسلمين المهتمين في حقل دراسة موضوع "الحسبة " بصناعة النسيج من باب متابعة" فئة النساج" في أعمالهم والحيلولة دون غش المنتوجات .فابن الرفعة في كتابه ، الرتبة في طلب الحسبة ، وابن عبد الرؤوف ، في رسالته عن آداب الحسبة والمحتسب"4"، وابن أخوة القرشي في معالم القربة في أحكام الحسبة .وأسهمت : المعاجم اللغوية العربية وكتب الآدب بأسماء المنسوجات من الملبوسات والمفروشات المغربية (الجزائرية) عامة فالزبيدي في معجمه (تاج العروس في القاموس) ذكر بأسماء المنسوجات (كالحلة والحبرة والخوص ، والسهمة الخ)..والجواليقي في كتابه " المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم أسم السقلاطية أو غيرها وهي متسوجات عر فتها مدن واقاليم المغرب الاوسط(الجزائر). ".

المحور الثانى تناول انواع المنسوجات الشائعة فى المغرب الاوسط-الجزائر وفقا للمخطوطات والمصادر التاريخية كالابس والمفروشات المنسوجة فالملابس والمنسوجات مثل: - العصب. والعباءة: أشتهرت مدن المغرب الاوسط ومنها تلمسان بنسج العباءات للأمراء والقادة وبيوت الأغنياء في مجتمعها ،.و-الحبرة : غالبا ما تكون موشاة، والحبير الثوب الجديد الناعم وكان من ألبسة الأغنياء والمعاجر: وهذا الثوب يخص النساء، واالسيراء : وهي منسوجات قطنية وربما تكون احيانا حريرية تكون مخططة، ثوب

ميسر فيه خطوط تعمل من الغز ، ا ذكرها ابن الابار في عنوان رائعته الحلة السيراء. والسحولية : وهي ثياب منتوجات قطنية لونها ابيض. والآزار :وهي ملاءة تلتحق بها المرأة و"السفاري : ملابس نسائية منتوجة من القطن. والسقلاطية أو السجلاظية ملابس تنتج من الكتان موشاة والبرنس : من اهم المنتوجات منسوجات المجتمع المغاربي فهناك انواع عديدة منها برنس للرجال وللاطفال و.الكنابيش : من أشهر المنتوجات التي ذكرها ياقوت الحموي التي اشتهرت المفروشات المنتوجة: بها تلمسان. اما بالنسبة: للمفروشات الجزائرية المنسوجة: فقد شاعت صناعة البسط التي استخدمت كمفروشات في بيوت الفقراء والأغنياء على اختلاف مواد نسجها تبعا للامكانيات الإقتصادية لمريديها .اذ نسجت بسط من الصواف ولا سيما من صفوف شعر الماعز الذي وجد في مدن واقاليم المغرب الاوسط –الجزائر ، ونسجت بسط من الخوص وعيدان بعض اوشف الخوص على هيئة سفرة ويقال لها السمهة"، وصنعت حصر تلمسانية من الدوم فيقال لها الطلبيل" والبارية هي الحصير ، وقيل عنها الحصير المنسوجه من القصب.

إشكالية البحث:-

حاول الباحث الإجابة على تساؤلات عديدة حول المنسوجات المغرب الاوسط الجزائر في العصور الاسلامية الوسطى.

- هل قدمت المخطوطات والمصادر العربية الاسلامية معلومات مفيدة ومتنوعة عن صناعة النسيج الجزائري .

- هل اسهمت المخطوطات والمصادر العربية الاسلامية القديمة بتقديم اشكال وصورا متنوعة عن تلك المنسوجات ؟

- ما هي انواع المنسوجات للمغرب الاوسط الجزائر السائدة فى العصور الاسلامية الوسطى ؟

- هل قدمت المخطوطات الاسلامية . تفاصيل عن طبيعة صناعة النسيج وطرقها ومواد الصناعة وقتذاك ؟

ولما كانت المنسوجات من أهم الحرف والمهارات والصناعات التقليدية في المجتمعات الإسلامية التجارة إحدى القطاعات الرئيسية، والنشاطات الهامة في مختلف الاصقاع والأقاليم ، وعبر مختلف الحقب الزمنية، فالتجارة هي المرآة العاكسة للإنتاج الزراعي والصناعي في إقليم ما، وهي التي تساهم بشكل كبير في تحديد العلاقات بين مختلف الأطراف ونوعيتها في إطار العلاقات العامة السائدة. ولطون المغرب الاوسط (الجزائر) يتمتع بمقومات قيام صناعة النسيج وبسبب موقع مدنه الستريجي الرابط بين مدن واقاليم المغربين الاقصى والاوسط لذلك لعب ادوارا هامة فى

تنشيط حركة التجارة فى المنطقة وهذا ما اكدته نصوص المخطوطات والمصادر العربية الاسلامية .

ولكون المنسوجات كسلعة مطلوبة في الحياة اليومية ليس في مدن واصقاع الجزائر فقط بل بقية مناطق العالم الإسلامي أذن أسهمت بدورها في حركة التجارة في المغرب الأوسط-الجزائر وبقية مناطق المغرب والعالم الإسلامي كانت من الأنشطة الرائجة خاصة مع توفر الكثير من العوامل التي ساعدت المغرب الإسلامي على ذلك ، أهمها أن المنطقة تعتبر همزة وصل بين السودان الغربي (إفريقيا جنوب الصحراء) من جهة والممالك الأوربية من جهة ثانية ، فإن التجارة في هذه الرقعة الجغرافية شهدت العديد من التحولات تبعا للأوضاع السياسية السائدة ، ذلك أن النشاط التجاري يتأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالأوضاع السائدة.

وحاول الباحث الإجابة على تساؤلات عديدة حول المنسوجات .

- هل اسهمت تلك المخطوطات والمصادر الاسلامية فى معرفة ماهية الأهمية المادية في حياة الناس اليومية وتسليط الأضواء على طبيعة واسماء تلك المنسوجات ؟

- كيف نفسر اهتمام الكتاب والمؤلفين للمخطوطات والمصادر برصدهم صناعة المنسوجات المغربية (الجزائر) وانتشارها

في مجتمعات المغرب الإسلامي وفى المغرب الأوسط على وجه الخصوص، بحيث انتشرت إلى الشمال نحو أوربا ، وهى تسلط الأضواء على العلاقات التجارية بين أقاليم المغرب الإسلامي مع تلمسان متجاوزة الصراعات السياسية والعقائدية والفكرية الشائعة وقتذاك ؟.

- إلى أي مدى ساهم ت المخطوطات والمصادر الاسلامية فى ابراز مكانة صناعة النسيج في مدن المغرب الاوسط الجزائر إلى تحقيق الفائض الاقتصادي وتوفير فرص عمل للفقراء لتشمل نساء الفقراء بل تعدى ذلك احتراف نساء الاغنياء لنسج ألبسة فاخرة ، كل ذلك كون منظومة من الحرف واسعة النطاق في تلمسان لترتبط مع النسيج كالصباغة والخياطة وهل للفقه المالكي دور في إيجاد منظومة حرفية امتازت مدن الجزائر في العصور الإسلامية الوسيطة ؟

المحور الاول : المصادر الإسلامية وإشكالية صناعة النسيج الجزائري فيالعصور الوسطى الإسلامية "

أولا: المخطوطات واهميتها فى دراسة المنسوجات الجزائرية

من ابرز من اعطانا صورا واضحة ومفصلة من بابناء المغرب الاوسط(الجزائر) ممن تركو مخطوطات غنية تقدم معلومات مسهبة عن النسيج هو الونشريسي الفقيه .ومن فقهاء

الجزائر البارزين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ومصنفا بارزا في علوم الشرع والتراث وملما بشتى العلوم، ضليعا بالفقه المالكي وفروعه، مقتدرا بالأفتاء ووسائله ونوازله.التى حوت على مظاهر متنوعة عن صناعة النسيج ومشتغليها وموقف الفقهاء منهم .

وتكتسب مخطوطات الونشريسي اهمية كبرى فى اعطاؤنا نصوص اصيلة عن حالة النسيج ومشتغلي الحرفة فى المغرب الاوسط.علما ان مصنفات الونشريسي بالدرجة الاساس فقهية تدور حول الاحكام والمعاملات في المذهب المالكي وشؤون المجتمع ورعاياه واراء رموزه من الفقهاء المالكية، والقضاء والفتيا؛ ويبلغ عدد ماصنفه الونشريسي من المصنفات، بما فيه معجم شيوخه ما يقرب من اربعة وعشرين مصنفا من كتاب ورسالة وما يشبه الفها في فترات مختلفة من حياته العلمية في العمل التدريسي. وكان لتدريسه الفقه المالكي والقاءه الدرس يتطلب مراجع معتمدة من لدن طلبته حوت على اسئلة واجوبة فقهية ورد فيها ذكر المنسوجات ومحترفيها وفيما عالج كتابه الكبير المعيار المعرب مسائل الأكتفاء بموجب قواعد المذهب المالكي السائدة واصوله.

المصادر التاريخية:

سوف أستهل الحديث عن المصادر التاريخية لتأخذ نموذجا حيا و مهما ألا وهو العلامة الكبير ابن خلدون (808 هجرية). كونه عاش وكتب مؤلفاته فى المغرب الاوسط –الجزائر ودون مشاهداته عن صناعة النسيج سواء فى تلمسان او بقية مدن الجزائر حينما كرس في مقدمته الشهيرة بابا عن "صناعة النسيج والحياكة "، إذا عد المعتدلين من البشر ممن يهتمون بصناعة النسيج، لأن اللبس مهم للجسد يوقيه من الحر والبرد ، ويخصص أيضا موضوعا مهما عن "نسيج البربر الأمازيغ" ، فهو يرى أن صناعاتهم النسيجية كانت بدائية لا تقتصر إلا على المنسوجات الصوفية البسيطة لكون البربر كالعرب لرسوخهم في البداوة"1".

والمعروف أن ابن خلدون عاش آواخر حياته في المغرب الأوسط (الجزائر) ومات فيها ، لذلك لم يقدم معلومات وافية النسيج المغرب الأوسط ولا التلمساني ، وبعبارة أخرى لم يهتم اهتماما كبيرا .

ثانيا: مخطوطات و كتب الحسبة والقضاء وصناعة النسيج الجزائري

قدمت هذه المصادر تواصيف دقيقة لصناعة النسيج الجزائري عموما و التلمساني وكونه جزءا لا يتجزأ من المغرب

الإسلامي الكبير في وحدته الاجتماعية والثقافية ،هذا التوصيف لا نجده في مؤلفات العديد من المؤرخين المهتمين في تواريخ المدن أو التواريخ الحولية ، لذلك عني المؤرخون المسلمين المهتمين في حقل دراسة موضوع "الحسبة " بصناعة النسيج من باب متابعة" فئة النساج" في أعمالهم والحيلولة دون غش المنتوجات وزوجها في الأسواق وأيهام العامة بتلك البضائع .

فقد كتب ابن عبدون في رسالة له عن " القضاء والحسبة" حققها ليفي بروفنسال وطبعت سنة 1955 في القاهرة ، أشار في رسالته تلك الى مراقبة الحاكة في الأسواق ، والى وظيفة " الأمين " الشخصية الثانية بعد المحتسب لمراقبة الحرفيين من أصحاب النسيج "2"..

والحال يصدق على المؤلفين ابن الرفعة في كتابه ، الرتبة في طلب الحسبة" 3" ، وابن عبد الرؤوف ، في رسالته عن آداب الحسبة والمحتسب" 4"، وابن أخوة القرشي في معالم القربة في أحكام الحسبة "5" . وغيرهم .

ثالثا : المعاجم اللغوية العربية وكتب الآدب

أسهمت هذه المصادر في رفد موضوع البحث بأسماء المنسوجات من الملبوسات والمفروشات التلمسانية والإسلامية المعروفة في المجتمعات الاسلاميةفى المشرق والمغرب ،فقد أغفلتها

كتب التاريخ بشيء من التفصيل ولذلك تكتسب أهمية في دراسة تاريخ المنسوجات الإسلامية عامة ومنسوجات تلمسان على وجه الخصوص ،كونها حفظت لنا العديد من أسماء تلك المنتوجات أغفلتها كتب التاريخ والحوليات بل حتى كتب الحسبة والقضاء .

ومن بين هذه المعاجم اللغوية الإسلامية ما كتبه الزبيدي في معجمه (تاج العروس في القاموس)

إذا عرفنا بأسماء المنتوجات (كالحلة والحبرة والخوص ، والسهمة الخ). "6".

وذكر الجواليقي في كتابه " المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم أسم السقلاطية أو السجلاطية وهي متسوجات كتانية عرفتها تلمسان ."7"

وأشار الجاحظ (255هـ) في مؤلفاته " البلدان "والحيوان"، ورسائله"، عن أوصاف فئة النساجين وأوصافهم "8".

كما أن للثعالبي في كتابه " لطائف المعارف " إسهام في تعريفنا بأهمية النسيج وحرفة الخياطة بالنسبة للمجتمع الإسلامي شرقا وغربا "9"..

وهكذا نفهم أن للمصادر الإسلامية أسهام واضح في دراسة مفاهيم وأسماء المنسوجات التلمسانية والإسلامية عبر العصور

المحور الثانى :- انواع المنسوجات الشائعة فى المغرب الاوسط-الجزائر وفقا للمخطوطات والمصادر التاريخية كالابس والمفروشات المنسوجة.:

اولا :-مفاهيم المنسوجات ومقومات صناعتها وفقا للمخطوطات والمصادر الاسلامية القديمة

أ . **النسيج :** يعرفه ابن خلدون (ت 808هجرية): " هو ألحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسيج والحياكة " 10"، هذا التوصيف اللغوي الدقيق الرائع أبلغ تعريف للنسيج وأن كان المؤرخ ابن خلدون ليس لغويا، وإنما وضع تعريفا دقيقا لذلك المفهوم من الناحية الفنية.

ب . أهمية المنسوجات الإسلامية :-

المنسوجات من المستلزمات الأساسية للبشر، تعتمد في موادها الأولية على الأغلب على المنتوجات النباتية وبخاصة القطن والكتان وعلى بعض المنتوجات الحيوانية كالصوف والوبر والحرير والجلود ، وتتوفر في البلاد الإسلامية شرقا وغربا المواد الضرورية للمنتوجات ، فلا تستورد إلا القليل من السلع الكمالية "11".

ويعتمد تنوع المنسوجات من الألبسة والمفروشات على تنوع المادة التي تصنع منها ، وعلى المهارات في هذه الصناعات فقد وفرت لذوي الدخل المحدود والمستوى الحضري والواطىء منتوجات

رخيصة في مادتها بسيطة في صناعتها ، وغالبا كانت تنتج في البيوت ، أما المنتوجات الفاخرة من الملابس والمفروشات فقد كانت تعتمد على مواد غالية وباهضة الثمن ، وتعتمد في صناعاتها على نساجين مهرة محترفين ، بما في ذلك له باع في صباغتها وحياكتها وخياطتها ، وتتوفر في المصادر العربية والإسلامية معلومات كثيرة عن المنتوجات والألبسة ، لكنها نصوص متفرقة في كتب التاريخ والفقه والآداب وتكون بمجملها صورة شاملة عن أحوالها ."12".

وقدم المؤرخون والأدباء المسلمون نصوصا تؤكد إهتمام المسلمين بالغزل والنسيج فقد ذكر الثعالبي :-" أن البني آدريس (ع)أول خاط بالخيط وهندس وفصل كل من يمسك بالأبرة "، وروى أبن خلدون : أن النبي شعيب (ع) إن أول من صنع المغزل والنول وتنسب إليه أنواع الغزول من صوف وقطن وحرير"14".

ج- مقومات الصناعة النسيجية الجزائرية-

وفي ميدان النسيج اشتهرت مدن المغرب الاوسط (الجزائر) بفن النسيج والتوشية بالذهب والفضة ، إذا احتفظت بريادتها لهذه الحرفة ردحا طويلا من الزمن بين المدائن الإسلامية في شمال افريقية ."15"

وفي تلمسان تكثر المنتوجات الزراعية كالقطن والبساتين وأنواع مختلفة من النباتات التي تكون مادة أولية للمنتوجات

التلمسانية بما فيها الكتان والحرير ، كما لتنوع بيئتها وخضرتها ساع على توفير الأصواف لنساجها لعمل الملابس والمفروشات ."16".

أسماء المنسوجات الجزائرية والعربية الاسلامية فى العصور الوسطى.-[د

أولا:.منسوجات الملابس :-

1- العصب : وهي ضرب من البرود ، يعصب غزلها ويحاك ويشتد ، ثم يصبغ وينسج "17"،

وأغلب الظن أنها عرفت في تلمسان في القرن التاسع الهجري / القرن الرابع عشر ميلادي أي بعيد هجرة العرب الى المغرب الاوسط (الجزائر) من الأندلس "18".

2- العباءة : عرفت بها تلمسان واشتهرت بنسج العباءات الفاخرة التي التي أهداها الأمراء والسلاطين والقادةالزيانيين والمرينين وكانت غالبا ما توشى بالذهب "19".

3-الحبرة : وهي ضرب من البرود ، وغالبا ما تكون موشاة، والحبير لغة الثوب الجديد الناعم .وغالبا ما كانت تنتج من الحرير والقطن الأبيض الصافي ، وهي من ملابس الأغنياء "20".

4- المعا جر: وهذا الثوب تنسجه النساء ، وهو أصغر من الرداء ، وتلبسه النساء ، وكانت المرأة تعجر به – أي تلتحف به"21".

5- السيراء : وهي منسوجات لثياب مخططة ، وهي نوع من البرود ، فيها خطوط صفر ، وغالبا ما يخالطها الحرير والذهب الخالص ، أو خطوط من خيوط الذهب ، وهذه الحلل غالبا ما تكون لملابس الأمراء والأغنياء "22".

6- السحولية : وهي ثياب منسوجة من القطن لونها أبيض وقبل أن السحل هو الخيط غير المفتول ، والغزل الذي لم يبرم "23".

7- الآزار: وهي ملاءة تلتحق بها المرأة ، وغالبا ما تكون واسعة وفضفاضة "24"، وفى مدن المغرب الاوسط الجزائر ومنها تلمسان كانت تلبس المرأة المسلمة نلبس أزارا أبيض ، بينما النصرآنية أزرقا ، واليهودية أصفرا"25".

8- السفاري : وهي ملابس نسائية منسوجة من القطن "26".

9- السقلاطية أو السجلاظية : ملابس تنتج من الكتان وموشاة"27".

10-البرنس : من أهم المنتوجات التلمسانية ، ومنسوجات المغرب الإسلامي ، وهو كل ثوب يخاط له أو ينتج له قبعة ن وهو على أنواع للرجال والأطفال "28".

11- الكنابيش : من أهم وأفخر المنسوجات التي اشتهرت بها مدن المغرب الاوسط الجزائر ومنها تلمسان في القرن السابع الهجري ذكرها ياقوت الحموي (626هجرية) "29".

ثانيا : المفروشات الجزائرية المنسوجة :

اشتهرت المغرب الاوسط (الجزائر) بصناعة البسط ، والتي استعملت في بيوت الفقراء بالنسبة للمواد الرخيصة المنسوجة كالبسط المنسوجة من الخوص والحصران ، وفي بيوت الأغنياء كبسط الصوف والحرير"30".

وقد نسجت بسط الصوف فى مدن الجزائر عموما وتلمسان خصوصا . من صوف الأغنام ، ومن شعر الماعز ، واشتهرت نساء تلمسان في تلك الحرفة ، لذلك نسجن بسط الخوص وعيدان بعض الأشجار التي تنمو في تلمسان ، وعرفت بعض البسط ب السمهة ."31".

وصنعت حصر مدن الجزائر –المعرب الاوسط من الدوم فيقال لها الطليل" 32"، والبارية هي الحصير ، وقيل عنها الحصير المنسوجة من القصب ."33".

ونستطيع أن نستخلص بعض الحقائق عن المفروشات المنسوجة من خلال مقدمة ابن خلدون حينما تكلم عن المنتوجات الصوفية والقطنية في المغرب الإسلامي حينما تكلم عن "الأغطية وإلا كسية " بقوله :الأغطية : هي نسيج الغزل من الصوف والقطن منها قطع مقدرة : منها الآكسية من الصوف "34".

انتشار المنسوجات المغرب الاوسط –الجزائر في البلدان :-

اشتهرت منسوجات الجزائر الصوفية والقطنية لذلك ذاعت شهرتها في القرن السابع الهجري/القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، فقد نافست المنسوجات الأوربية ، فقد كان المجتمع التلمساني معروف ب تكسبه والريادة في حياكة الصوف فكانوا يتغايون"35" في نسيج الأثواب الرقاق من الكسوة " 36"، أو البرنس الذي اشتهرت به تلمسان شرقا وغربا "37".

فقد صدرت مدن المغرب الاوسط (الجزائر) وفي مقدمتها تلمسان الأقمشة الزرابي والبرانس إلى المغرب الأقصى" 38"والى أوربا لاسيما إلى البرتغال وايطاليا " 39" ، وانتشرت الأكسية الصوفية التلمسانية في ايطاليا وجنوب أوربا شمالا والى السودان جنوبا "40"وبسبب شيوع زراعة القطن في المناطق المجاورة لمدينة تلمسان لاسيما في ندرومة ومستغانم رهنين اخذ القطن في طريقه إلى أسواق تلمسان ليستغل في الصناعات النسيجية القطنية ولاسيما الملابس القطنية والأغطية الناعمة شديدة البياض التي

صدرت بدورها إلى اروبا وتحديدا إلى جنوب ايطاليا-روما وجنوا، بالرغم من تحريم البابوية لهذه السلعة الفاخرة فقد تداولها الأوربيون هناك، بل وصلت المنسوجات القطنية التلمسانية كالزرابي والبرانس والأقمشة الصوفية إلى بلاد السودان جنوبا"41".

وازدهرت أيضا صناعة النسيج الحريري الجزائري - التلمسانى فكانت غالبا ما تستخدم لتوصيل القطع القطنية الفاخرة مع بعضها من خيوط حريرية وسداها من القطن وبسبب وصول تلك المنسوجات إلى بلاد السودان ، حاول بعض الحاكة هناك تقليدها بسبب شهرتها "42".

وبسبب وجود نبات الكتان في تلمسان استغل أيضا في الصناعات النسيجية وذاعت شهرتها في الآفاق شرقا وغربا وقد عرفها التجار الأوربيون ولاسيما الايطاليون إذ استوردوا مادة الكتان ومنسوجات الكتانية التلمسانية ."43".

ثانيا :-طرق صناعة النسيج وفقا للمخطوطات والمصادر الاسلامية

أولا النسيج من الناحية الفنية :

أن من أولويات النسيج القطني أو الصوفي هو أن يدرج ويحاك ويشد، ومن ثم تأتي عمليات الصبغ أو التوشية أو التطريز ."44".ويقول عن ذلك ابن خلدون في وصف النسيج : "الحام الغزل

حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسيج والحياكة " " 45"،ثم يستطرد بوصفه أسلوب نسج الأغطية والآكسية ب نسيج الغزل من الصوف والقطن سدد ف الطول والحاف في العرض واحكاما لذلك النسيج الشديد فيتم منها قطع مقدرة "46".

والنسيج المحكم هو أن يأخذ الحائك لوتين من يمين ولوتيني من شمال ، وأن كانت ثلاث من هنا وهناك فلا بأس."47"،

ثانيا : عملية تنقية القطن والصوف من الشوائب :

تجري عمليات تنقية لمخلفات النباتات أو ما علق ب الأصواف من أوساخ أو كل ما يعيق عملية إنسابيةعملية النسيج المحكم النظيف ، لذلك ينقى القطن من الحبة السوداء بالنسبة للمنتوجات القطنية" 48" ، أو بالنسبة للنساج المهمتين ينسج الحصران فيتوجب عليهم ازالةالحلفاء من النباتات " 49"،وكانت نساء تلمسان يغسلن الأصواف ويمشطنه من ثم يغزلنه ويقمن بنسجه" وبهذا الصدد يقدم الونشريسي معلومات مفصلة عن تلك الطرق علما انه من فقهاء المغرب الاوسط-الجزائر 50".

ثالثا :ألحام القطع الصغيرة مع بعضها :

بعد عملية تنظيف وتنقية مواد المنسوجات ، ونسجها الى قطع صغيرة أو كبيرة حسب الحاجة سواء أكانت قطنية أو صوفية أم كتانية يقوم الحائك بتوصيلها حسب القياس المطلوب .

ولأبن خلدون في هذا الصدد رأي إذ أن أهل البدو برأيه يستغنون بلحم تلك القطع لأنها مختصة بالعمرآن الحضري ففي المدن الإسلامية الشهيرة يقوم الحائك بلحم القطع المنسوجة بالحياكه والخياطة وصلا أو حبكا أو تفتيحا حسب نوعية المنسوج"51".

وبالنسبة لعملية توصيل المنسوجات الى الحام القطع عند البربر حسب وجهة نظر ابن خلدون فهي تطابق من ذكرتاه آنفا"52".

رابعا : التطريز والتوشية :-

اشتهرت مدن الجزائر (المغرب الاوسط)عموما ومدينة تلمسان على وجه الخصوص .بجودة وحسن منتوجاتها الفاخرة تلك التي كانت تطرز بخيوط الذهب أو توشى به، إذ ذكرت لنا المصادر التاريخية أن المنسوجات التلمسانية الفاخرة اخترقت في شهدتها الآفاق فياقوت الحموي (ت 626هجرية) وهو مشرقي كما هو معروف عاش في بلاد الشام –حماة وفى بغداد عرف ووصف كنابيش تلمسان ووسمها بالروعة والجمال "53".

الخلاصة :

من خلال متابعتي لموضوع" منسوجات المغرب الأوسط (الجزائر) من خلال نصوص المخطوطات والمصادر التاريخية توصلت الى مايلي:-

1- اهتمت مخطوطات الفقهاء والمؤرخين بمتابعة "حرفة النسيج "ومن اشتغل بها للحيلولة دون ظهور منسوجات مغشوشة ، كما إنهم عينوا أشخاص يتابعون جودة المنسوج عرفوا ب الأمين أو المؤتمن نيابة عن المحتسب..

2- ووفقا لمعلومات الواردة فى المخطوطات والمصادر التاريخية فقد اتسمت المنسوجات الجزائرية بالتنوع في الأسماء والأغراض وشملت البسيط منها والفاخر.

3-ان التنوع البيئي لمدن واصقاع المغرب الاوسط (الجزائر)أسهم في رفد النساجين بعدة مواد كالقطن والصوف لنسيج الملابس والخوص ونسيج الحصران .

4-.شكل المنتوج الجزائري من المنسوجات –الملابس وغيرها سلعة رائجة عرفتها اصقاع المدن المغرابية شرقا وغربا وعرفتها مدن المشرق الاسلامي ومدن جنوب اوربا .

5-.قدمت المخطوطات والمصادر التاريخية طرق صناعة النسيج مما ييسهل على الباحث رسم صورة مبسطة عن أشكالها والطرق السائدة وقتذاك لفى صناعة النسيج

الهوامش

1- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (808 هجرية)، المقدمة (العبر وديوان المبتدا والخبر) ، ط1 دار صادر ، بيروت ، بلا)ج2، ص 272

كذلك ينظر مقالة نسيج :

-Encyclopedia de Islam، (Paris، 1936)،t3 (Art ، Nasig)

2- ابن عبدون ، محمد بن احمد ، رسالة فى القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل اندلسية ، فى آداب الحسبة والمحتسب ، (القاهرة ،1955)، ص143

5- ابن أخوة و محمد بن احمد القرشي (ت729 هجرية/1328م)، معالم القربة فى أحكام الحسبة تصحيح دي غوي (كمبردج 1970) ، ص137

6- الزبيدي، ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني، تاج العروس في جواهر القاموس، 21 مجلد، تحقيق: عبد الستار فراج وآخرون، (القاهرة، 1306هـ).

7-الجواليقي ، ابو منصور موهوب بن احمد ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد محمد شاكر ، (القاهرة 1361)، ص،184 كذلك ينظر:-

-بوعياد، محمد ، جوانب من الحياة فى المغرب الأوسط ،ط1، (الجزائر ، 1982م)ص327-

8- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (255هجرية)، البلدان ، ط1تحقيق صالح العلى ، (بغداد، 1970)، ص274

9-الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابياري، (القاهرة، 1960)، ص6

10-ابن خلدون ، العبر، ج2، ص272

11-العلى ، صالح احمد ، وليث شاكر محمود الصناعات والحرف ، بحث غير منشور (بغداد،بلا) ،ص1

12-المصدر نفسه، ص ص1-2

13-الثعالبي، لطائف المعارف، ص 6

14- ابن خلدون ،العبر، ج2، ص 272

15--بل ، الفريد، تلمسان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة احمد محمد شاكر واخرون ط1،(القاهرة ، بلا)و مج2، ص459

16-المصدر نفسه ، ج2، ص459-460

17-الزبيدي، تاج العروس، ج7، ص311 مادة عصب

18-بل، تلمسان، ج2، ص459

19- الزبيدي، تاج العروس، مادة عبا. بل، تلمسان، ج2، ص459

20- الزبيدي، تاج العروس، ج3.ص118مادة حبر

21-المصدر نفسه، ج3، ص383مادة عجر كذلك ج3، ص287

22-المصدر نفسه، ج3، صمادة سير كذلك :

ابن الآبار،ابو عبد الله بكر القضاعي البلنسي (ت 310هـ/)1) الحلة السيراء في أشعار الأمراء، جزآن ، تحقيق مولر، (طبعة القاهرة، 1963).

23- الزبيدي، تاج العروس، ج7، ص371مادة سحل

24- الفيلالي ، عبد العزيز ،تلمسان فى العهد الزيانى ، ط1،(الجزار ، 2011م)ص 203

25-المصدر نفسه، ص203 كذلك ينظر:-

كواتى ، مسعود اليهود فى المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط الموحدين رسالة ماجستير ، معهد التاريخ (جامعة الجزائر ، 1991)كذلك

26-الفيلالى ، تلمسان ، ص203

27-الجواليقي ، المعرب من الكلام ، ص184

282-عبد الرحمن ، شالة ، الصناعة النسيجية التقليدية –البرنس نموذجا، ملخصات الملتقىالدولى لمؤتمر المعارف والمهارات العتيقة بتلمسا ن (4جويليه، 2011)،مج2، ص30

-Richard ، J ، lawless : Telmecan capital de Magrib، (n ،n)

29-الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت 626هجرية)، معجم البلدان ، ط 1و دار صادر، (بيروت ، بلا)ج2 ،مادة تلمسان.

30- بوعياد، محمد ، جوانب من الحياة فى المغرب الاوسط ،ط 1، (الجزائر ، 1982م)ص32

31- الزبيدي، تاج العروس، ، مادة سرمه

32-المصدر نفسه، ج7، مادة طلل ص420

33-المصدر نفسه، مادة بار

34-ابن خلدون، المقدمة ، ج2و ص272

35-ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711ه)، لسان العرب، (بيروت، 1955)،مج20، ص19، 382 مادة تغاي

36-الكسوة :-الكساء كل ثوب منسوج سواء أكان من القطن او الصوف ينظر:

--DOZY،R و Dictionnaire Detaille des Arabes (n.n)p،383

37-المقري، ابو العباس احمد بن محمد بن احدبن يحي التلمسانى المالكي شهاب الدين، كتاب نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،ط(القاهرة ، بلا).ج9، ص314

38-الزرابي اثواب طويلة خالية من النقوش

---Fagnan،E،Addttions aux dictionnaires Arabes (Alger، 1923)،p4

بشاري، لطيفة ، التجارة الخارجية فى تلمسان فى عهد الامارة الزيانية ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ،1986-1987م

المنونى ، محمد ، ورقات من الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، (الرباط، 1979م)، ص108

39-بشاري ، التجارة الخارجية فى تلمسان، ص179

40-المصدرنفسه، ص2391-

41-المصدرنفسه، ص249كذلك ينظر :-

جلول ، السيد مكي ، مسالة الحدود بين الجزائر والمغرب، رسالة ماجستيرمن 631هجرية -1263هجرية،معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، (الجزائر، 1993).ص30

42-بشاري، التجارة الخارجية في تلمسان، 250

43-المصدر نفسه، 251

44- ابن عبد الروؤف ، احمد بن عبد الله ، رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ،تحقيق ليفي بروفنسال المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة ، 1955م)، ص99

45-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص273

46-المصدر نفسه، ص273

47-ابن عبد الرؤوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص99

48- ابن اخوة و محمد بن احمد القرشي (ت729هجرية/1328م)، معالم القربة فى أحكام الحسبة تصحيح دي غوي (كمبردج 1970) ، ص 37كذلك ينظر:-الشيزري ،عبد الرحمن بن نصر (589هجرية/1193م)،نهاية الرتبة فى طلب الحسبة،ط2، تحقيق الباز العربنى ، دار الثقافة ،(بيروت ،1969)، ص67ص-68

49-ابن عبد الرؤوف، رسالة فى اداب الحسبة ، ص 73. ابن بسام ، محمد احمد ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف، (بغداد، 1970م)، ص.99

50- الونشريسي .احمد بن يحي(ت 914هجرية/1508م)، اختصار المنهج الفائق والمنهل الرائق ، مخطوط ، (الرباط، بلا)، ص280

51-ابن خلدون ، المقدمة، ج2، 273

52-المصدر نفسه، ج2، ص278

53-الحموي ، معجم البلدان ، مج2، تلمسان كذلك ينظر:-

- ابن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن على (ت 597هجرية)المنتظم ، (حيدر اباد ، 1359)،ج5، ص 130 كذلك ينظر:- ابن كثير،عماد الدين ابو الفداء اسماعيل (ت 77ه)البداية والنهاية ، دار المعرفة ، (بيروت ، بلا)، ج11، ص17.